



الكرسي الرسولي

رشف عبالا نوال ابابلا ةسادق ةظع

يهللإا سادقلا يف

ةيميرملا ةيناحورلا لىبوي يف

ةنسلأ نمز نم نورشعلأو نمأثلا دحلأ

2025 ربوتكأ/لوالأ نيرشت 12

سرطب سيّدقلا ةحاس

[Multimedia]

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء،

بولس الرسول يوجّه كلامه اليوم إلى كلّ واحدٍ منّا، كما وجّهه إلى طيموتاوس، ويقول: "اذكّر يسوع المسيح الذي قام من بين الأموات وكان من نسل داود" (2 طيموتاوس 2، 8). الروحانيّة المريميّة التي تغذّي إيماننا، أساسها ومركزها هو يسوع المسيح، مثل كلّ يوم أحد الذي يفتح كلّ أسبوع جديد ونرى في أفقه قيامته من بين الأموات. "اذكّر يسوع المسيح": هذا هو الأساس، وهذا ما يميّز بين الروحانيّات البشريّة وطريق الله. بولس وهو في "القيود كالمجرم" (الآية 9)، أوصانا بالألّا نفقد الجوهر، والألّا نجرّد اسم يسوع من تاريخه وصلبيه. فما نعتقد أنّه مبالغ فيه وقمنا بصلبه، أقامه الله من بين الأموات لأنّ الله "لا يُمكن أن يُنكر نفسه" (الآية 13). يسوع هو أمانة الله، أمانة الله لنفسه. لذلك، يجب أن يزيدنا كلّ يوم أحد ثباتاً في مسيحيتنا، فيملاً إحساسنا وفكرنا بذكرى يسوع المتّقدّة فينا، وبغير طريقة عيشنا معاً، وإقامتنا على هذه الأرض. كلّ روحانيّة مسيحيّة تتبع من هذه النّار وتُسهم في إبقائها حيّة متّقدّة.

ذكرت القراءة من سفر الملوك الثاني (5، 14-17) بإبراء نعمان السّوريّ. شرح يسوع نفسه هذا المقطع في مجمع النّاصرة (راجع لوقا 4، 27)، وكان أثر تفسيره على أهل بلده صادماً. فقله إنّ الله أبرأ ذلك الغريب الأبرص بدل الذين كانوا في إسرائيل، أثار غضبهم: "فتار ثائر جميع الذين في المجمع عند سماعهم هذا الكلام. فقاموا ودفعوه إلى خارج المدينة وساقوه إلى حَرَفِ الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه ليُلْقَوْهُ عَنْهُ" (لوقا 4، 28-29). لم يذكر الإنجيليّ وجود مريم، التي لربما كانت هناك واختبرت ما تتبأ به لها سمعان الشّيخ عندما قدّمت الطّفل يسوع إلى الهيكل: "ها إنّهُ جُعِلَ لِسُقُوطِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَقِيَامِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِي إِسْرَائِيلَ، وَآيَةٌ مُعْرَضَةٌ لِلرَّفْضِ. وَأَنْتِ سَيَنْفِذُ سَيْفٌ فِي نَفْسِكَ، لِتُكْشِفَ الْأَفْكَارُ عَنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ" (لوقا 2، 34-35).

نعم، ²أيها الأعزاء، "إنَّ كَلَامَ اللَّهِ حَيٌّ نَاجِعٌ، أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، يَنْفُذُ إِلَى مَا بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ، وَمَا بَيْنَ الْأَوْصَالِ وَالْمِخَاخِ، وَيُؤَسِّعُهُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى خَوَاطِرِ الْقَلْبِ وَأَفْكَارِهِ" (العبرانيين 4، 12). هكذا رأى البابا فرنسيس بدوره في قصّة نعمان السُّوريّ كلمة نافذة وحيّة لحياة الكنيسة. في كلمته إلى الكوريا الرومانيّة، قال: "كان هذا الرجل مُجبراً على أن يعيش مأساة مروعة: كان أبرص. درعه، أساس سمعته، كان يخفي خلفه في الواقع إنساناً ضعيفاً جريحاً مريضاً. ونحن نجد مراراً هذا التناقض في حياتنا: المواهب الكثيرة فينا هي الدرع الذي يغطي ضعفنا الكبير. [...] لو استمرّ نعمان في جمع الأوسمة فقط لوضعها على درعه، لكان مرض البرص قد التهمه في النهاية: في الظاهر كان حياً، نعم، لكنّه كان مغلقاً ومعزولاً في مرضه" [1]. حرّنا يسوع من هذا الخطر، هو الذي لم يلبس درعاً، بل وُلد ومات عرياناً، وهو الذي قدّم ذاته دون أن يلزم البرص الذين شفوا بأن يعترفوا به: سامريّ واحد فقط في الإنجيل يبدو أنّه أدرك أنّه نال الخلاص (راجع لوقا 17، 11-19). ربّما، كلّما قلّت الألقاب التي تنباهي بها، ازداد وضوحاً لنا أنّ المحبّة مجانيّة. الله عطية فقط، ونعمة فقط، ولكن كم من الأصوات والمعتقدات يمكنها أن تفصلنا اليوم أيضاً عن هذه الحقيقة المجرّدة والمزلزلة!

أيّها الإخوة والأخوات، الرّوحانيّة المريميّة هي في خدمة الإنجيل: إنّها تكشف عن بساطته. محبّتنا لمريم النّاصريّة تجعلنا معها تلاميذ يسوع، وتعلّمنا أن نرجع إليه، وتأمّل فيه ونجمع أحداث الحياة ونرى فيها أن الرّبّ القائم من بين الأموات يزورنا ويدعونا. الرّوحانيّة المريميّة تغمرنا في التّاريخ الذي انفتحت عليه السّماء، وتساعدنا لنرى المتكبرين المشتّين في أفكار قلوبهم، والأقوياء المنحدرين عن عروشهم، والأغنياء الذين صرّفوا فارغين. وتجعلنا نلتزم بأن نُشبع الجوع بالخيرات، ونرفع المتواضعين، وتذكّر رحمة الله وثقّ بقدرته ذراعه (راجع لوقا 1، 51-54). في الواقع، ملكوت الله يأتي ويشركنا فيه، كما طلب من مريم أن تقول "نعم"، فقالت مرّة واحدة، ثمّ جدّتها يوماً بعد يوم.

البرص الذين لم يعودوا في الإنجيل ليشكروا، يذكّرنا بأنّ نعمة الله يمكن أن تصل إلينا بدون أن تجد جواباً، ويمكن أن تشفينا بدون أن نلتزمنا. لنحذر إذًا من "الصّعود إلى الهيكل" بدون أن تتبع يسوع. فهناك أشكال من العبادة لا تربطنا بالآخرين بل تخدّر قلوبنا. إذًا لا نعيش لقاءات حقيقيّة مع الذين يضعهم الله في طريقنا، ولا نشارك، كما عملت مريم، في تغيير العالم وفي فرح نشيد "تعظّم نفسي الرّبّ". ولنحذر من كلّ استغلال للإيمان يمكن أن يحوّل المختلفين، وغالبًا الفقراء، إلى أعداء، إلى "برص" يجب تجنّبهم ورفضهم.

سارت مريم خلف يسوع، وسار يسوع واتّجه نحو كلّ إنسان، وخاصّة نحو الفقير والجريح والخاص. ولهذا فإنّ الرّوحانيّة المريميّة الأصيلة تجعل حنان الله وأمومته حاضرة في الكنيسة. لأنّه، كما نقرأ في الإرشاد الرّسوليّ "فرح الإنجيل"، "كلّما نظرنا إلى مريم ازداد إيماننا بقوة الحنان والمودّة الثّوريّة. ففيها نرى أنّ التّواضع والحنان ليسا فضيلتين للضعفاء، بل للأقوياء الذين لا يحتاجون إلى الإساءة إلى الآخرين ليشعروا بأنّهم مهمّون. وبالنّظر إليها نكتشف أنّ التي سبّحت الله لأنّه "حطّ الأقوياء عن العروش، [...] والأغنياء صرّفهم فارغين" (لوقا 1، 52-53)، هي نفسها التي تضمن الطّمأنينة لنا في بيتنا في سعيها إلى العدل" (رقم 288).

أيّها الأعزاء، في هذا العالم الذي يبحث عن العدل والسّلام، لنُعِدّ الحياة إلى الرّوحانيّة المسيحيّة، وإلى التّقوى الشّعبيّة والأحداث والأماكن التي باركها الله فغيّرت وجه الأرض إلى الأبد. لنجعلها محرّكاً للتّجدّد والتّحوّل، كما يدعونا اليوبيل، وزمنًا للتّوبة والعودة، وللتأمّل من جديد والتّحرّر. لتشفّع لنا مريم الكاملة القداسة، هي رجاؤنا، ولتوجّهنا دائماً وإلى الأبد نحو يسوع، الرّبّ المصلوب. فيه خلاص الجميع.

[1] كلمة إلى الكوريا الرومانية في عيد الميلاد المجيد، 23 كانون الأول/ديسمبر 2021.

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana